

أنا اللغة والصراع بين القديم والجديد
لصاحب الفضيلة الشيخ على محمد حسن العمارى

-7-

و لنترك مؤقتاً سادتنا الشعراء: القدماء منهم والمحدثين، لنقف وقفة قصيرة مع بعض كتابنا الذين شاءوا أن يسيروا فى درب أبى تمام ومن نهج نهجه، وأغرموا بالاسلوب الغامض، ووطنوا أنهم بذلك أتوا بمال لم يأت به أحد، وغرتهم قدرتهم على استعارة بعيدة، أو كناية غريبة، أو لفظ مهجور.

و عندى أن هؤلاء جهلوا أثر الاعتدال فى البلاغة فطنوا الاغراب غاية البلاغة، وأخذوا ينحتون من صخر، ويمتحنون من بئر بعيدة الغور، وكأنهم لم يقرءوا كتاباً واحداً من كتب النقد، أو كتب البلاغة، ليعلموا أن أول أسباب الجمال فى الاسلوب انما هو الوضوح، وأن البيان انما سمى بياناً لأنه توضيح وكشف واطهار، وكأنهم لم يطيلوا النظر فى أساليب العرب، وفى الكتاب المنزل الذى لا يمتري أحد أنه فى أعلى درجات البلاغة ليقنوا أن الاغراب ليس من سمات الاسلوب الجيد.

بلى، لقد قرءوا فى كتب النقد، والبلاغة، وقد نظروا طويلاً أو قصيراً فى كلام العرب، ولكنهم يكابرون فيما لوجه فيه للمكابرة.

و قد كنت أظن أن الفتنة بالوحشى من الالفاظ، والمعقد من الاساليب كانت مرضاً قديماً ابتلى به أفراد لم يسلموا من التجريح والسخرية.